اعلان الحرب المفتوحة والمفاجآت المنتظرة:

# قراءة في مجريات ما يحدث بين حزب الله واسرائيل

علي حسين باكير*

■ من المعروف ان حزب الله حزب يتمتع بدعم اقليمي كبير من سورية وايران وبالتالي هو له غطاء سياسي خارجي وله دعم مالي يفوق الـ200 مليون دولار حسب بعض المصادر وله دعم عسكري كبير من ناحية الاسلحة الحديثة والمتطورة التي ترده من ايران، وفوق كل ذلك يتمتع حزب الله برؤية سياسية واستراتيجية جيدة وملتزم بقواعد اللعبة مع الاطراف الثلاثة اسرائيل وايران وسورية والتي لم يسبق له ان خرج عنها مطلقا، والتي تقتضي قيامه بعمليات عندما تقتضي الحاجة فقط وليس خوض حرب وجود مع الكيان الصهيوني.

الحزب كان يرى ان الوضع الداخلي الاسرائيلي متأزم وهي منخرطة في معركة الاعتداء على غزة ومشغولة بها ومستنزفة داخليا ومتخبطة سياسيا وعندها مأزق في اتخاذ القرارات خاصة بعد العملية النوعية للفصائل الفلسطينية «الوهم المتبدد». ومن هذا المنطلق رأى الحزب ان الوقت الآن هو افضل وقت لتنفيذ عملية سريعة وخاطفة يتحقق عبرها تسجيل عدة نقاط داخلية وخارجية لصالح الحزب ولصالح الداعمين له ومنها:

1ـ اعادة احياء شعبية حزب الله على الصعيد الداخلي من خلال تبنيه قضية الاسرى اللبنانيين في السجون الاسرائيلية وهي بالطبع قضية وطنية سيتحد كل الشعب اللبناني عليها وسيتخذون موقفا ايجابيا منها، وبالتالي استخدام هذه الشعبية التي سيحصل عليها كورقة ضغط في التفاوض على طاولة الحوار اللبنانية لتحقيق العديد من المكاسب دون ان يظهر ان حزب الله متعنت ومعزول داخليا وخارجيا.

2ـ الحصول على دعم شعبي واسع في العالم الاسلامي واستغلاله في محو الصورة السيئة التي نشأت عن امتناع شيعة العراق عن مقاومة الاحتلال الامريكي وانخراطهم في اطار حملة دنيئة لتصفية المقاومة العراقية الاسلامية والوطنية بالاضافة الى التجمعات السنية المعزولة اقليميا ودوليا بسبب انتماء المقاومة لها.

3ـ اظهار التضامن او التقاطع مع غزة وما يجري فيها وبالتالي الحصول على دعم عربي شعبي كبير واظهار حالة الضعف العسكري الاسرائيلي.

4ـ الرد غير المباشر على مسألة التهديد الاسرائيلي لسورية عندما اعلنت الطائرات الحربية الاسرائيلية قبل ما يقرب من اسبوع تحليقها فوق القصر الرئاسي للرئيس بشار الاسد في قلب وعمق سورية مع امكانية اعادة ادخال سورية الى لبنان سياسيا او عمليا من خلال امكانية اقحامها في دور ما في مسألة التفاوض على الجنود والاسرى.

5ـ توافق العملية مع دخول خافيير سولانا في اجتماع مع الايرانيين بخصوص البرنامج النووي الايراني مع علم الجميع ان الاجتماع لم يكن ليتوصل الى اي شيء مما يعني انه سيكون هناك تصعيد ضد ايران، فجاءت هذه العملية ضمن هذا السياق ايضا.

### تغيير اسرائيل لقواعد اللعبة

انطلاقا من المعطيات التي شرحناها اعلاه، فان الحزب كان يتوقع ان يكون الرد الاسرائيلي على خطف جنديه محدودا نظرا لانغماس اسرائيل في الداخل والمشاكل الكثيرة التي تعاني منها، كما توقع الحزب في اسوأ الاحوال ان تقوم اسرائيل بقصف انتقامي محدود ينتهي بدعوة جميع الاطراف الى بدء مفاوضات من اجل تبادل الاسرى، ولذلك فهو ابلغ اسرائيل علنا ان نيته هي عدم التصعيد وان القواعد يجب ان تكون محصورة في هذه اللعبة فيما يتعلق بالتفاوض حول الاسرى فقط.

الذي حصل فيما بعد والذي لم يكن يتوقعه الحزب في رايي، هو ان اسرائيل قررت ضرب لبنان ضربة قاصمة وشرسة وغير مسبوقة منذ التزام الجميع بقواعد اللعبة المتبادلة مباشرة دون امهال اي طرف من الاطراف الاقليمية والدولية اي وقت للتحرك وفي نيتها تحقيق عدد من الاهداف ما بين تكتيكية واستراتيجية منها:

اولا: اعادة الاعتبار الى الآلة العسكرية الاسرائيلية وقوات الجيش واحياء الروح لدى الجنود المنهارين لديها، واحياء عقيدة الردع الاسرائيلية التي منيت بهزائم كبيرة في الداخل الفلسطيني واللبناني.

ثانيا: الاعلان لذوي الاسرى الاسرائيليين والشعب ان اسرائيل لا تسكت على اختطاف جنودها وبالتالي رفض التفاوض على اطلاق سراحهم مقابل الاسرى في سجونها، لان ذلك من شأنه ان يكرس سنة اختطاف جنود اسرائيليين ومبادلتهم بمطالب تضر بمصلحة اسرائيل العليا وفق وجهة نظرهم الخاصة.

ثالثا: محاولة استغلال نتائج هذه الحملة على لبنان وتجييرها للمطالبة بالافراج السريع وغير المشروط عن الاسرى من جنودها لدى حزب الله والضغط على الحكومة لانهاء وتجريد حزب الله من سلاحه بعد تقليب الراي العام المحلي والدولي ضده.

وفي هذا الاطار تحركت الحكومة الاسرائيلية في ثلاثة محاور:

سياسيا: من خلال تحميلها الحكومة اللبنانية المسؤولية نقل وتصعيد الملف دوليا من خلال مجلس الامن او من خلال القوى الدولية وعلى راسها امريكا وبالتالي تبرير استهداف كل ما يتعلق بها ويتبع لها، فحزب الله ليس لديه مراكز ثابتة ومعروفة ليتم قصفها وبالتالي سيكون من الاسهل قصف مواقع حيوية تابعة للدولة اللبنانية.

اقتصاديا: تحميل الحكومة اللبنانية خسائر اقتصادية ضخمة من خلال ضرب الاهداف الحيوية والمرافق الاستراتيجية وتعطيل وشل الاقتصاد اللبناني السياحي والخدماتي لفترة طويلة على امل ان يحدث هذا ضغطا شعبيا متململا من الخسائر مضادا لحزب الله يدين تصرفه غير المحسوب ويعجل بسحب سلاحه.

عسكريا: من خلال قصف جوي موسع وبحري مركز وبتوغل بري عسكري عبر فرق خاصة اذا اقتضى الامر وقصف سلسلة من الاهداف الحيوية والاستراتيجية ومنها: الجسور، محطات الكهرباء ومحطات الهاتف والمياه والمطارات اضافة الى اماكن حيوية اخرى سواء تابعة للجيش اللبناني ـ في حال شكلت تدخلاته ضغطا ـ او على مواقع الاحزاب والمخيمات الفلسطينية في لبنان.

والهدف من التحرك الاسرائيلي هذا وضع ضغط كبير على الحكومة اللبنانية سياسيا واقتصاديا وعسكريا عبر عملية «الثمن الرادع» وذلك في محاولة لدفعها لتطبيق القرار الدولي 1559 ونزع سلاح حزب الله وبت امره نهائيا مع تخطي مسالة الاسرى والجنديين لانتهاز الفرصة والقضاء على حزب الله وجعل حزب الله ولبنان والشعب اللبناني يدفعون ثمنا باهظا يفوق بقيمته قيمة اي انتصار ممكن لحزب الله ان يحصل عليه اذا ما وقع تبادل للاسرى.

### حزب الله يدرك ابعاد القضية متأخرا

ادرك حزب الله متأخرا ابعاد الخطة الاسرائيلية مع مرور الوقت، فحاول فرض قواعد جديدة مقبولة وخطوط حمر بينه وبين اسرائيل داخل هذه العملية للعب ضمنها وفي اطارها، وكان من بينها اعتماد الاستراتيجية التالية:

1ـ عدم ابتداء الحزب باية عمليات ضد الجيش الاسرائيلي على امل ان يعدل الاسرائيليون عن مخططهم وان لا يتم استفزازهم.

2ـ محاولة ضبط النفس ومواكبة اي تصعيد اسرائيلي برد مساو ومواز من حيث الفعالية النفسية.

3ـ فرض خط احمر والالتزام بعدم التعرض لحيفا طالما ان الاسرائيليين ملتزمون بعدم ضرب الضاحية الجنوبية.

الذي حصل، هو ان اسرائيل خرقت كل القواعد ايضا وتخطت كل الخطوط الحمر مما اذهل حزب الله الذي لم يتوقع تصرف اسرائيل هذا خاصة انه سبق والتزم واياها خلال سنوات طويلة بخطوط وقواعد معروفة.

هذا الذهول الذي اصاب الحزب رافقه عدم تماسك في الجبهة الداخلية اللبنانية على المستويين الحكومي والشعبي مع حرب نفسية كبيرة وضرب اسرائيل لكل شيء يمكن تصوره في لبنان، والامر الذي قصم ظهر حزب الله وشله تماما وهو الامر الذي لم يكن احد في العالم ليتوقعه خاصة مع تواجد حملة دولية مقبوله لادانة التصرف الاسرائيلي من قبل كل من فرنسا، روسيا، الصين، البرازيل، سويسرا والمانيا وغيرها من الدول التي ادانت الرد الاسرائيلي بهذا الشكل.

الحدث كان يتمثل بالموقف السعودي الذي صدم الجميع اصدقاء واعداء لدرجة ان وزارة الخارجية الاسرائيلية اعلنت غبطتها بالموقف السعودي هذا والذي وصفته بانه قمة الاعتدال.

### خلفيات الموقف السعودي

باعتقادي ان الموقف السعودي الذي اعلنت المملكة فيه عن تحميلها لحزب الله ضمنا مسؤولية التصعيد الذي حصل من خلال قيامه بمغامرة قد تجر المنطقة باسرها الى الاهوال والذي استغلته القيادة الاسرائيلية كغطاء للتصعيد ضد لبنان، انما قد يعود في حقيقة الامر الى احد الاحتمالات التالية:

1ـ اما ان المملكة قد استجابت لوجهة نظر حلفائها اللبنانيين والموجودين في السلطة في لبنان بحكم الاكثرية والذين سبق واشرنا ان هناك شرخا كبيرا بينهم وبين حزب الله، بحيث كان الموقف السعودي تعبيرا عن وجهة نظرهم وغطاء لهم ودعما خاصة ان المملكة قد ملت استنجاد الآخرين بها بعد اشتعال الحريق ودون استشارتها مسبقا بمفاعيل اي عمل على الساحة اللبنانية.

2ـ واما ان تكون السعودية قد استسلمت تماما للضغوط الامريكية والغربية مع معرفتها عدم قدرتها على انجاز شيء فعال ينقذ لبنان والفلسطينيين فتذرعت بقضية المغامرة وما الى ذلك.

3ـ واما ان تكون السعودية رات في هذا الحدث فرصة للانتقام من ايران وتصفية حساباتها معها وتوجيه ضربة غير مباشرة لها عبر بوابة حزب الله ردا على عجز المملكة عن فعل اي شيء في العراق ازاء الاختراق الايراني الواسع له والتلاعب به وبهويته وسفك اتباعها فيه لدماء السنة والعمل على تطهيرهم.

### حزب الله بين الانتحار والاستشهاد

امام هذه الوقائع التي تتمثل بانشقاق داخلي في لبنان وانكشاف غطاء وظهر حزب الله عربيا بعد الموقف السعودي، وتجاوز اسرائيل لكافة الخطوط الحمر بعد ضوء اخضر امريكي بحقها في الدفاع عن نفسها، وبعد تمادي اسرائيل واعلانها الاستمرار «عكس المتوقع» في حملتها الى النهاية او الامتثال لثلاثة شروط اساسية:

1ـ اعلان تطبيق لبنان فورا للقرار 1559 والقاضي بتفكيك حزب الله ونزع سلاحه.

2ـ ارسال الجيش الى الجنوب ليحل محل قوات حزب الله وينتشر هناك على طول الخط الازرق.

3ـ اعادة الجنود الاسرى دون قيد او شرط.

في هذا الاطار راى حزب الله وقيادته التي اصبحت ملاحقة تحت قائمة الاغتيال والذي يخوض للمرة الاولى منذ انشائه معركة ضد اسرائيل دون الوجود السوري في لبنان والذي كان يؤمن على الاقل الغطاء السياسي له، ان ليس له الا خياران لم يكن يتوقعهما من قبل على الاطلاق نظرا لعدم اعتقاده بوصول الوضع الى ما وصل اليه في هذه اللحظة، والخياران هما:

1ـ اما القبول بشروط اسرائيل وهذا يعني عمليا خسارة كل شيء وتسليم الاسرى الجنود مجانا بعد ان تم تدمير لبنان وقتل المدنيين واستباحة جميع الخطوط الحمر وكل قواعد اللعبة مما يشير الى انتهائها وبالتالي مما يعني انتحار حزب الله عمليا وانتهاءه الى الأبد عبر تفكيكه وضياع جميع انجازاته السابقة هباء.

2ـ واما الذهاب بعيدا واعلان المعركة مفتوحة على قاعدة «علي وعلى اعدائي يا رب» وهو الخيار الذي اعلن عنه الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله في ظاهرة تكاد تشبه ما تعود قادة تنظيم القاعدة على فعله عبر الشرائط والتسجيلات الصوتية وهو ما يعني تحلله من كونه اداة سياسية وذراعا اقليمية وانتهاج اسلوب القاعدة المفتوح في الحرب على امريكا ولكن هذه المرة على اسرائيل مهما تكن النتائج، فاما ان يكون واما ان لا يكون على هذه القاعدة.

اما فيما يتعلق باسلحة حزب الله التي قال انها ستشكل مفاجأة، فأتوقع شخصيا ونظرا لمتابعتي الملف التسلحي لايران وعلاقته بحزب الله ان تكون هذه الاسلحة التي لم تعرف الى الآن والتي لم يعلن عنها هي:

1ـ فيما يتعلق بتدمير السفينة الحربية الاسرائيلية، فعلى الارجح ان الصاروخ الذي تم استخدامه هو صاروخ من نفس نوع صواريخ «Exocet» فرنسية الصنع التي استخدمت في حرب الفوكلند والتي دمرت البارجة HMS Sheffield ومعها سفينة اخرى، والاكثر دقة انه قد يكون صناعة ايرانية معدلة عن صواريخ Moskit الروسية الصنع او VA ـ111 (SHKVAL)، وهو طوربيد مضاد للسفن اسرع من الصوت والاسرع من نوعه في العالم ومصنف في خانة الاسلحة «الانتقامية». يتميز هذا الطوربيد بسرعته الفائقة والتي تبلغ 4 او 5 اضعاف سرعة الطوربيدات الاخرى في العالم ويبلغ مداه حوالي 7 الى 10 اميال وهي المسافة التي كانت تقف فيها السفينة الاسرائيلية.

2ـ اما بالنسبة الى المنظومة الدفاعية الجوية التي نقلت مصادر في حزب الله انها ستدخل المعركة لاول مرة ورفضت الكشف عن اسمها، فارجح انها صواريخ Stinger الامريكية التي تطلق من على الكتف والتي كانت حاسمة في ايقاع الهزيمة باكبر جيش في العالم ابان الغزو السوفييتي لافغانستان، فقد حصلت ايران على عدد من هذه الصواريخ من افغانستان بعد سقوط نظام طالبان اثر الاحتلال الامريكي لها وعلى عدد آخر مشابه لهذه النوعية من مخازن العراق العسكرية بعد سقوط بغداد بيد الامريكيين ولا شك ان ايران قامت بتمرير هذه الاسلحة الى حزب الله. ودخول هذه الصواريخ المعركة مع اسرائيل قد لا يقل اهمية عن النتائج التي حققها «ستينجر» في افغانستان.

3ـ امتلاك الحزب لصواريخ يبلغ مداها حوالي 150 كلم او اكثر لم يتم استعمالها من قبل وقد يطلق عليها اسم زلزال ـ 1 وهي قادرة على الوصول الى العاصمة تل ابيب وابعد من ذلك ايضا، الى جانب صواريخ فجر ـ 5 الايرانية الصنع التي يبلغ مداها حوالي 75 كلم.

4ـ امتلاك طائرات استطلاع (مرصاد ـ 1) وسلسلتها وهي قادرة على ضرب اهداف مدنية او عسكرية في «العمق» الاسرائيلي وهذه الطائرة يمكنها ان تحمل متفجرات زنتها بين 40 و50 كيلوغراما، وهي من تطوير ايراني خالص مع تكنولوجيا عالية.

فهل ستساعد هذه الاسلحة النوعية والتي لا تمتلك جيوش بعض الدول مثلها وبفاعليتها على احداث انقلاب في سيناريو الاحداث لصالح حزب الله وبالتالي اعادة اللعبة الى اطارها الصحيح ام سنشهد استشهادا لحزب الله وتكون هذه النهاية؟! هذا ما سنتابعه من خلال مجريات الاحداث القادمة خلال الايام القليلة القادمة.

* باحث من لبنان
alibakeer@hotmail.com

# جولة جديدة من المواجهة بين الامة العربية والثنائي الامبريالي ـ الصهيوني

د. الطاهر الهمّامي*

■ هذه لحظة اخرى استثنائية وهذا موعد اخر غير عادي تعيشهما الامة العربية المضطهدة وتصنعهما بؤر المقاومة التي ما تزال حية بين جنبيها وفي ضميرها الذي لا يموت.

هذه لحظة اخرى استثنائية من لحظات الشرف الرفيع عندما يثأر ويثور وينتفض ضد الاذلال، وهذا موعد آخر غير عادي مع تاريخ الحرية والتحرر من نير الاحتلال.

هذه جولة اخرى من جولات المواجهة بين الامة العربية والاستعمار بزعامة امريكا وربيبتها اسرائيل، وهذا مسمار آخر يدقه الاحرار في نعش المشروع الامبريالي ـ الصهيوني، مشروع «الشرق الاوسط الكبير».

تنهض المقاومة الباسلة في لبنان لتفتح جبهة ثانية امام الالة العسكرية الصهيونية، بعد جبهة فلسطين، ولتحرك البركة الراكدة، بركة «السلام ـ الاستسلام» ولتضع النظام الرسمي العربي مرة اخرى وفي ظروف دراماتيكية لا يحسد عليها، امام المرآة كي يرى حاله التي يرثى لها، ويقيس ضغط دمه المتخثر المتعفن، وكي يواجه عملية فرز جديدة تجرده من اخر ورقات التوت، وهو يتفرج على آلة الدمار الصهيوني المدعومة امريكيا تحصد ارواح المدنيين وتسوي المباني بالارض وتضرب ابسط المرافق الحياتية، ولا يحرك ساكنا جديا، ولا يتخذ اي اجراء عملي من شأنه حفظ ماء الوجه حتى ولو كان سحب سفير «للتشاور».

ويتذرعون بأن المقاومة لم تستشرهم حين اسرت الجندي الاسرائيلي. فهل كانوا سيوافقون على ذلك وماذا كانوا سيفعلون؟ بل من يضمن انهم لا يسارعون الى اشعار شركائهم الصهاينة بنية المقاومة؟

وبعد، فان الذي يجري الان ما هو الا جولة اخرى من جولات الصراع الجوهري بين الامم والشعوب المضطهدة وبين الاستعمار والامبريالية في هذا العصر. والمنطق السياسي السليم كان على الدوام يقضي بتوسيع جبهة الحرية كي تشمل كافة القوى والفصائل الوطنية، على اختلاف مشاربها الفكرية ومنازعها العقدية ورؤاها الاستراتيجية مقابل التضييق على جبهة الاعداء وعملائهم.

ان العالم اليوم، وهو يرزح تحت وطأة عولمة ظالمة، في حاجة ماسة الى تشكل جبهة عالمية مناهضة للامبريالية تمتد من فنزويلا الى كوريا الشمالية مرورا بسورية ولبنان وايران وافغانستان، ومن الحزب الشيوعي الى حزب البعث الى حزب الله الى حماس الى آخره، جبهة عابرة للقارات والبلدان والتنظيمات تلتقي داخلها كافة التعبيرات الحزبية والحمعياتية، السياسية والمدنية، داخل الحكم او خارجه، وذات المصلحة في التصدي للهجمة الامبريالية التي تقودها امريكا، وفي حياة آمنة ومؤمنة لجميع الشعوب على وجه الارض.

ومنطق الجبهة والتجبه يقتضي تنظيم اللقاءات والندوات واحكام التنسيق وتبادل الخبرات والاستفادة من تراث الجبهات التي سبق ان قامت ضد الفاشية والنازية مثلا كما يقتضي تبادل المساعدة والعون والتضامن داخل الهيئات الاممية وعلى ميدان المواجهات.

وعند قيام مثل هذه الجبهة التي نرى معطياتها قائمة في الواقع ولا ينقصها الا ارادة ووعي وحبكة، فان الوطن العربي ـ الضحية المفضلة لاطماع الطامعين ومخططات الغزاة ـ سيكون المستفيد الاول، بما سيتوفر له من سند وما سيغنمه من كسب معنوي ومادي، ولن يبقى العراق او فلسطين او لبنان او السودان يستصرخ وحيدا وهو يواجه الضغوط والمؤامرات والاعتداءات.

ان الخوف من الدخول المعلن في جبهة مقاومة وعلى اساس برنامج سياسي واضح والتزام نضالي صريح، لا يشفع لضحايا «اجندة» الخطط الهيمنية، الامبريالية والصهيونية. وان دعوات المدركين لهذه الضرورة الحيوية، سواء القادمة من امريكا اللاتينية او من جنوب شرقي اسيا، ينبغي ان تسمع عربيا وان تستجاب، والامة الواهنة تواجه ارادة اخراجها نهائيا من التاريخ، ومن الجغرافيا.

لكن الجبهة بين البلدان المستهدفة تظل في حاجة ماسة الى جبهات وطنية داخل تلك البلدان، وما تقتضيه من تبادل التنازل بين الحكومات ومعارضاتها وهي تجتمع وتجمع على قضية ام كقضية الوطن حين يكون في خطر. وحين يكون البلد بصدد مقاومة الاحتلال ـ على نحو ما يجري فلسطينيا وعراقيا ـ فان جبهة التحرير الوطني برايتها وجيشها ونشيدها وسياستها الخارجية والميدانية تكتسي حيوية اكبر، لان المحتل ينتعش من الفرقة ويقوى بالتناقضات التي تشق الصف الوطني حول الاساسيات، فمتى نرى الاحزاب والحركات والجمعيات والشخصيات الوطنية في العراق وفلسطين تتجاوز هذه العاهة وتعلن ميلاد جبهة التحرير الوطني، وتعلو على الانانيات الضيقة، وتنظر ابعد، وتكف عن التبجح بنسبة اي قذيفة تقذفها الى فصيلها وتحفظ بذلك دماء المقاومين الذين رموها، والذين ما ان تعلن عن مسؤوليتها حتى يتعقبهم العدو ويصطادهم؟ متى نرى حركة التحرر في العراق وفلسطين وغيرهما تحت قيادة جبهة تحرير وطني وبجيش تحرير شعبي ونشيد رسمي واحد، ولغة موحدة مع العالم حول الاساسيات الوطنية؟ متى يوضع حد للتشرذم والتشظي في مجابهة السيف المسلط على رقاب الجميع؟ ان المكانة التي يبحث عنها كل فصيل بين جماهير شعبه لا نراها تتحقق وتعمر الا بشيوع الاريحية الديمقراطية داخل الفصيل الواحد وبين مجموع الفصائل المتجبهة وداخل المجتمع قاطبة، وهي لا تنفي الانضباط الحديدي والصرامة في تطبيق التعليمات عندما يتعلق الامر بالمواجهة.

واعتقادي ان استيعاب النخب السياسية والثقافية والمدنية مثل هذه المعاني من شأنه ان ينشط عملية التضامن مع فلسطين حماس ولبنان حزب الله، في الشارع العربي، وبين تلك النخب، وان يضع حدا للتردد، والحسابات الانعزالية.

* كاتب وجامعي من تونس

الصديق صبحي حديدي: الآن نختلف جداً

# كيف يلتقي المنطق الثوري بمنطق الأنظمة المعادية لشعوبها؟

رشاد أبو شاور*

■ مقالة زميلي وصديقي صبحي حديدي المعنونة (السياسة خلف الوعد الصادق: مخاطر تبسيط الحق الواضح)، المنشورة في (القدس العربي) بتاريخ 14 تموز (يوليو) الجاري، أزعجتني، بل آلمتني، لأنني ببساطة وجدتها تتناقض مع (جوهر) تفكيره، وانتمائه، والسبب في هذا أنها (مغرضة)، وغير موضوعية، وترى الأمور من زاوية معارضته لنظام الحكم في سورية، لا أكثر (أنا لست ضد معارضته لنظام الحكم في بلده، بالتأكيد).

يعرف صديقي العزيز صبحي حديدي أنني لم أكن يوماً على مقربة من حزب البعث، وهذه مناسبة لأذكر بناصريتي، وأنني لم أكن محسوباً لا على بعث سورية، ولا على بعث العراق، وأنني وإياه، وكثيرين، وقفنا مع العراق، لا من ولاء حزبي، أو مصلحي، ولكن من موقف قومي عربي، ومن رؤيتنا للأهداف الجلية للأطماع الأمريكية ـ الصهيونية، في العراق، وكل بلاد العرب، وأنني وإياه، وآخرين كثيرين تلقينا شتائم، وتحملنا رذالات من جهلة لا يحبون بلدهم العراق، لموقفنا هذا، ثم جاءت الوقائع لتكشف مدى وعينا بالمخاطر التي كانت تتهدد العراق، ثم ها هي تتحقق بكل بشاعتها: حرباً طائفية، وتقسيماً، وتدميراً لبلد عربي عريق...

ما صلة هذا الكلام بمقالة صديقي صبحي؟!

يقال: المكتوب يقرأ من عنوانه، ومقالة صبحي تقرأ من عنوانها، وعنوانها منحاز سلفاً ضد عملية (الوعد الصادق) التي أنجزها أبطال المقاومة الوطنية الإسلامية (حزب الله).

المدخل النظري السريع يحيد بالقارئ عن نقطة الانطلاق الحقيقية، ويأخذه في لعبة (منطق) شكلي، يبدأ من نقطة افتراضية، ثم ينهمك في البرهنة عليها، وهي ستبدو واهية، وخاطئة عندما يطرح السؤال من نقطة اكثر صدقية، وجدية، و(معقولية).

يتساءل صبحي: (هل يمكن الاتكاء على حقيقة أن (إسرائيل لا تفهم إلا لغة واحدة بصدد ملف الأسرى والمعتقلين، لكي يقوم حزب الله بعمليته يوم أمس؟ وهل يصح الركون إلى التبسيط الذي طرحه الأمين العام للحزب الشيخ حسن نصر الله من أن الأمر بأسره هو التفاوض المباشر، والتبادل، والسلام؟ أو أيضاً: لا نريد التصعيد في الجنوب، ولا نريد أخذ لبنان، ولا المنطقة إلى الحرب؟).

أجيب صديقي صبحي ببساطة، وليعذرني على بساطة منطقي، ووضوحه الشديد، والبساطة لا تعني السذاجة، أو السطحية، وقد تكون شديدة العمق، فابسط الحقائق هي أعمقها..غالباً: نعم يصح، خاصة والسيد حسن نصر الله وعد بتحرير من بقي في الأسر من اللبنانيين، وفي مقدمتهم عميدهم سمير القنطار، وهنا لا بد من التذكير بان عملية تبادل أسرى كبيرة قد تمت من قبل، وكان المفترض أن تشمل سمير القنطار وبقية الأسرى الذين احتفظت بهم (إسرائيل)...

ثم أنتقل إلى السؤال الأكثر أهمية، والذي يخفي (وجهة نظر) صديقي صبحي: هل توقيت العملية في السياقات السياسية، والأمنية، والاجتماعية، الراهنة، يلائم هدفها المعلن، تسهيل إطلاق سراح سمير القنطار ورفاقه، والحفاظ على الحد الأدنى من سوية الحوارات السياسية بين مختلف القوى اللبنانية، لكي لا نتحدث عن تشجيعها وتطويرها، خصوصاً في المسائل الشائكة التي تخص أطوار ما بعد اغتيال رفيق الحريري، وما بعد الانسحاب السوري..أم يلائم، وبالتالي يخدم ـ أكثر ربما، وأولاً ـ جداول أعمال تتجاوز حدود لبنان؟

المقدمات الخاطئة في المنطق توصل إلى نتائج خاطئة، وهذا ما يحدث لصديقي صبحي، فهو قفز على نقطة البداية الصحيحة، وتجاهلها تماماً، وكأنها غير موجودة...

يا أخي صبحي، أذكرك بان قطاع غزة و(جنين، ونابلس)، تحرثان حرثاً بالجرافات، والدبابات، والصواريخ، واستغاثات الشعب الفلسطيني رجت الأرض والسماء، ولا من مغيث، وبعد ثلاثة أسابيع من استباحة القطاع ومخيماته وقراه، واختطاف ممثلي الشعب الفلسطيني المنتخبين ديمقراطياً وزجهم في سجون الكيان الصهيوني، وبدعم الإدارة الأمريكية، ووساطات نظم حكم عربية، تضغط على الفلسطينيين لـ(تحرير) الجندي (الإسرائيلي) الأسير، وحصار وحشي على شعبنا منذ عدة أشهر عقاباً على (خياره) الديمقراطي (الثوري).. جاءت عملية (الوعد الصادق) لتتجاوب مع عملية (تبديد الوهم)، من منطلق أننا ننتمي لأمة واحدة، وأن (المقاومة) في لبنان وفلسطين والعراق هي مقاومة واحدة ضد عدو متحالف واحد، صهيوني أمريكي، وفي ظل تخاذل عربي رسمي.. لشعب فلسطين، وتفريط صفيق بقضية فلسطين ...

هذا هو توقيت العملية البطولية الذكية الجريئة، أما قلقك على الحوار مع أطراف لبنانية داخلية، فإنني أذكرك بأن بعضها تحالف مع (إسرائيل) وبعضها مرت من مناطقه قوات الاحتلال عام 82 لتحاصر بيروت وتضرب القوى الوطنية والتقدمية، وهذه القوى (طائفية) متحجرة التفكير، معادية للانتماء القومي العربي...

أما قلقك على (وضع الشعب اللبناني بأسره رهينة الهجمة العسكرية الإسرائيلية) فهو منطق يلتقي بمنطق نظام الأسرة الحاكمة في السعودية، ونظام حسني مبارك المزمن في مصر، والمشغول بهم (التوريث)، فكيف يلتقي منطق (ثوري) بمنطق نظم حكم معادية لجماهيرها، منبتة عن أمتها!!

لبنان يا آخي صبحي (أسير) اللعبة الطائفية، وعندما احتلت بيروت، فإن القوى التقدمية، والقومية، ومن ثم حزب الله..هم من خاض معركة التحرير المكلفة دماً وجهداً...

تكتب في مقالتك يا أخي صبحي: (والحال أن دعم المقاومة اللبنانية بمختلف مستوياته وأنساقه، ومساندة هذه الحصة من المقاومة عند حزب الله تحديداً، حتى إذا اختلف المرء مع الكثير من خيارات الحزب السياسية والعقائدية، لا ينبغي أبدا أن ينقلب إلى تفويض مطلق لأي طرف في الانفراد بقرارات لا تطال عواقبها الوخيمة مصالح ذلك الطرف وحده، بل تمس ملايين المدنيين اللبنانيين في بيوتهم ومدارسهم وأماكن عملهم. وحجب هذا التفويض المطلق يصبح أكثر إلحاحاً، بل ويكتسب صبغة أخلاقية كذلك، إذا كان لا يخدم لبنان والشعب اللبناني بقدر ما يخدم نظاماً مستبداً مثل نظام بشار الأسد، بل يمد الاستبداد بالمزيد من أسباب القوة) ...

الفقرة طويلة، وتبدو مرتبكة بعض الشيء، ولكن القصد واضح، وهو ما دفع صديقي صبحي لكتابة مقالته على عجل، مباشرة بعد عملية (الوعد الصادق): الخشية من استفادة النظام السوري من العملية...

انظروا كيف أن الهاجس الإقليمي الضيق أنسى صاحبنا صبحي فلسطين وشعبها، بحيث غاب عن باله أن الصراع مع عدونا هو صراع وجود، فبعد (حرصه) على الانعزاليين في لبنان، والقتلة والمتاجرين بالطائفية، والموالين لفرنسا، والمتساوقين مع المخططات الأمريكية علناً، قفز صبحي لإبداء قلقه من أن يستفيد النظام السوري من عملية حزب الله. (أذكر: لست في وارد أن أدافع عن أي نظام حكم عربي)...

ليس لأنني (فلسطيني) الولادة، ولكن لأنني (عربي) الانتماء، أريد أن أرى جيداً، وأهتدي في سيري، وأضبط (زاوية) رؤيتي، ولأنني أفكر في مصير ومستقبل الأمة، فإنني أنطلق من قضية فلسطين، فأدقق في المواقف الرسمية، والحزبية، بل والشخصية، ولا يغيب عن بالي موقف المثقفين العرب، وأستنتج صدقية المواقف أو زيفها ...

يكتب صبحي: (ومن باب حصة المقاومة هذه بالذات، لا يجد مواطن سوري مثلي أي حرج في وضع سياسات حزب الله على خلفية جدول أعمال النظام السوري، سواء مباشرة أو علانية...).

هنا، وبمنطق مغاير تماماً، من موقع قومي، لا فلسطيني إقليمي، أقول لصديقي صبحي: كعربي مؤمن بعروبة فلسطين، كعربي شاهد شعبه يحرق، ويذبح، ويدمر، كعربي ذبحت قلبه صرخة (هدى) على رمال بحر غزة، وعجز سوى عن البكاء، كعربي لم يجد من يستجيب لاستغاثات أهله في فلسطين، أرى أن حزب الله، والسيد حسن نصر الله، قد نابا عن أمة بكاملها في تلبية استغاثات شعب فلسطين، وأن ما يفعله أبطال حزب الله رد الروح لأمة بأسرها، بمئات ملايينها الذين (تأسرهم) نظم حكم إقليمية تابعة متخاذلة، فإذا كانت سورية ونظام حكمها يساندان حزب الله في هذه المقاومة الجبارة فهذا والله فعل شريف، وصنيع يخدم فلسطين، وسورية، ولبنان، والعراق (وهذا لا يعني أنني أبارك الأخطاء في الداخل، أو قمع الحريات، أو غياب القانون...)، لكنني لا أضع سورية والسعودية في كفة واحدة، فالسعودية تدين حزب الله وتنحاز للعدوان الصهيوني وتبرره طمعاً في رضى أمريكا، وتتآمر على فلسطين وشعبها رغم ادعائها الحرص على المقدسات، ونظام مبارك يطرد القيادي في (حماس) محمد نزال من القاهرة إلى (دمشق)، بعد أن رفض الاستجابة لطلبات نظام السمسرة لـ(تحرير) الجندي (الإسرائيلي)...

يكتب صديقي صبحي: (ومن جديد، في هذه السياقات ذاتها، ليس أسهل من التهليل لصواريخ الكاتيوشا الساقطة على صفد، وربما على ضواحي حيفا قريباً...)...

بيني وبينك، اخي وصديقي صبحي: لقد هللت بحماسة شديدة، وبكيت فرحاً، وأنا اسمع أنباء سقوط صواريخ الكاتيوشا على صفد، ونهاريا، ومعالوت، وعكا و..حيفا..وحتى لا أنسى: وأنا اسمع نبأ إصابة البارجة (تساغر) وموت بعض بحارتها القتلة الذين صبوا حمم الصواريخ على أهلنا في لبنان...

من أين جاءت الصواريخ لحزب الله؟

أنا معني بالجهة التي تسقط هذه الصواريخ على رأسها، لتردعها، وتكف شرها، وتلقنها الدرس الذي توعد به السيد حسن نصر الله في كلمته مساء 14، بعد يومين من عملية (الوعد الصادق)، وبدء العدوان على لبنان: بعد اليوم لن يموت أطفالنا وحدهم، ولن تهدم بيوتنا وحدنا...

أخي وصديقي صبحي: أنا، وكثيرون غيري، نراهن على وحدة (بؤر) المقاومة العربية، في فلسطين، ولبنان، والعراق، وعلى أن هذه المقاومة العربية الواحدة ستقاتل عدونا الواحد: الصهيوني الأمريكي، فبهذه المقاومة نستنهض قدرات جماهيرنا العربية، ونرتفع بها فوق حالة الانحطاط الإقليمي والطائفي، واشتعال هذه المقاومة، وتصاعدها، سيعنيان حرق الفساد والخراب في بلاد العرب..ليس لنا غير هذا الطريق: المقاومة.. وكلمة السر: فلسطين...

أنت سمعت يا صديقي ما قاله عمرو موسى أمين عام الجامعة في مؤتمره الصحافي بعد انفضاض اجتماع وزراء الخارجية العرب: لقد ماتت عملية السلام..لن نكذب على أنفسنا!

مقاومة حزب الله فضحت موت عملية السلام، وموت ضمائر من ضللونا بها، ومن كذبوا على جماهيرنا العربية، وخدروها بالوعود...

وأخيراً: اصغ جيداً لنبض (الشارع)، أقصد لهدير الجماهير العربية المنحازة للمقاومة في فلسطين، والعراق، ولبنان..ولأنك معني بالرموز والدلالات، فإنه لا يغيب عن بالك ما فعله الفلسطينيون قبل أيام: لقد حطموا جدار الحدود مع مصر، وأدخلوا أهلهم المحشورين هناك، يعني قرعوا الجدران بقوة ـ يرحم الله روح غسان كنفاني الذي مر